عليه هو أنّ ديريدا يرتهن إلى هذه المعايير ـ يحافظ عليها بلغته المنتقاة بعناية كبيرة، باعتبارها "دعامات لاغنى عنها" ـ في الوقت الذي يظهر فيه أنّها لا تستطيع (بل يجب أن لا تستطيع) أن تضع قيوداً على ممارسة الفكر النقدي.

هذا يقودنا إلى التأكيد بأنّ ديريدا لا يقع في شرك ذلك التيار من خطاب مابعد الحداثة الذي يعلن بحبور نهاية نظام الواقع، الحقيقة، وذهنية التنوير. هذه النقطة عُزّزت أكثر من خلال ردوده الأخيرة على نقّاد من أمثال هابرماس وسيرل، بافتراضهم ـ رغم معرفتهم الضيئلة بأعماله ـ أنّ التفكيكية ليست سوى تنويع نصّي حول مواضيع مكرورة ومعقّدة خارج إطار المدرسة.[11] يبدو لي أنّ ديريدا قد أدار نقاشه استناداً إلى الزخم المحض لقوّة تفكيره وإلى انتباهه الدقيق لتلك البؤر العمياء في خطاب خصومه، إضافةً إلى مهارته الفائقة بردّ الإتهامات على أصحابها وذلك بتماسك جبري مدهش يسم مجمل حوارته. في كلّ الأحوال، سيكون من الصعب جدّاً على خصومه ـ بل حتى على تلامذته الضالعين ـ أن يتعاملوا مع التفكيكية وكأنّها مجرّد فرع من التيار الرّاهن لفكر ما بعد الحداثة أو للفكر المضادّ للتنويرية. وهكذا، لا بدّ للمرء بأن يعترف بأن تلك هي الطريقة التي فُهمت من خلالها التفكيكية من قبل قلة لا يملكون الوقت أو الرغبة بتحليل نصوصها وجهاً لوجه، أو بقراءتها آخذين بعين الإعتبار مرجعياتها الفلسفية المعقّدة، نظمها المخبوءة، طرائق تحليلاتها الخاصّة، الخ. وثمة سبب آخر لسوء الفهم مصدره أنّ هذه النصوص كان قد تلقّفها بحماس كبير "مجتمع تأويلي" مختلف ـ منظّرو الأدب الأمريكيين والبريطانيين ـ بحيث اعُتمدت وطُبّقت انطلاقاً من بواعث وأولويات مختلفة تماماً.

هذا ليس فقط ـ و ببساطة ـ مثالٌ صارخ على آلية التشويه المعتادة، بل وعلى نوعية سوء الفهم الجمعي أو **التضليل المحترف** الذي يحدث عندما يُترجَم مشروع معيّن أو نشاط فكري ما إلى لغة منهجية أخرى تضع نصب أعينها غاياتها الخاصّة بها. لقد أنكر ديريدا في الواقع أنّ ممارسته للتفكيكية